مجـــلة الـــتربـــوي
JOURNAL OF EDUCATIONAL
ISSN: 2011- 421X
Arcif Q3

معامل التأثير العربي 1.5
العدد 18

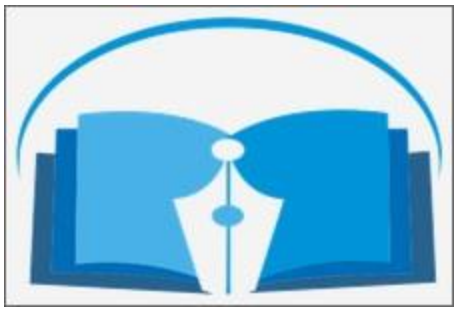

مجلة التربوي
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية
جامعة المرقب

العدد الثامن عشر
يناير 2021م

هيئـــة التحرير

رئيس هيئة التحرير: د. مصطفى المهدي القط
مدير التحرير: د. عطية رمضان الكيلاني
سكرتير المجلة: أ. سالم مصطفى الديب

- المجلة ترحب بما يرد عليها من أبحاث وعلى استعداد لنشرها بعد التحكيم .
- المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها .
- كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها .
- يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له .
- البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر .

(حقوق الطبع محفوظة للكلية)

ضوابط النشر:

يشترط في البحوث العلمية المقدمة للنشر أن يراعى فيها ما يأتي :

- أصول البحث العلمي وقواعده .
- ألا تكون المادة العلمية قد سبق نشرها أو كانت جزءا من رسالة علمية .
- يرفق بالبحث تزكية لغوية وفق أنموذج معد .
- تعدل البحوث المقبولة وتصحح وفق ما يراه المحكمون .
- التزام الباحث بالضوابط التي وضعتها المجلة من عدد الصفحات ، ونوع الخط ورقمه ، والفترات الزمنية الممنوحة للتعديل ، وما يستجد من ضوابط تضعها المجلة مستقبلا .

تنبيهات :

- للمجلة الحق في تعديل البحث أو طلب تعديله أو رفضه .
- يخضع البحث في النشر لأولويات المجلة وسياستها .
- البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة .

Information for authors

1- Authors of the articles being accepted are required to respect the regulations and the rules of the scientific research.
2- The research articles or manuscripts should be original and have not been published previously. Materials that are currently being considered by another journal or is a part of scientific dissertation are requested not to be submitted.
3- The research articles should be approved by a linguistic reviewer.
4- All research articles in the journal undergo rigorous peer review based on initial editor screening.
5- All authors are requested to follow the regulations of publication in the template paper prepared by the editorial board of the journal.

Attention

1- The editor reserves the right to make any necessary changes in the papers, or request the author to do so, or reject the paper submitted.
2- The research articles undergo to the policy of the editorial board regarding the priority of publication.
3- The published articles represent only the authors' viewpoints.

مجـــلة الـــتربـــوي
JOURNAL OF EDUCATIONAL
ISSN: 2011- 421X
Arcif Q3
معامل التأثير العربي 1.5
العدد 18

مظاهر الزهو بالشعر عند البحتري

د. مصطفى بشير محمد رمضان
قسم اللغة العربية
كلية التربية/ جامعة المرقب
mu70ra@gmail.com

المقدمة:

اتسعت المدونة الشعرية العربية بشكل واضح في طرح مجمل الأفكار والتشكيلات الحياتية التي رافقت العربي، فكانت سماته المتنوعة حاضرة بشكل واضح، وهي سمات ترتبط بطبيعة الحال بالواقع الذي ينتمي إليه، فضلاً عن صفاته الإنسانية التي تؤسس خطابه الشعري وفق مقاربات واضحة المعالم.

وكان من بين ذلك حضور الزهو كواحد من تجليات النفس الإنسانية وإن تغير بتغير الإنسان وهي سمة واقعة، لا سيما حين يكون عنصر التميز والتفرد حاضراً بشكل كبير، مما حمل الإبداع العربي الكثير من التأويلات التي أفضت الى نتائج أضرت بالشعر كواجهة ثقافية وتاريخية، من ذلك ما حصل للمتنبي في التشكيك بشاعريته وتوالي اتهامه بالسرقة وطرح ذلك كفاعلية نقدية الغاية ظاهراً منها الوقوف على صحة الشعر من عدمه.

والزهو لغة: الكبر والتيه والفخر والعظمة .... وزها فلان فهو مزهوٌّ إذا أعجب بنفسه [1]. وهذه السمة حضرت بشكل واضح في نتاج البحتري، فقد كانت الحافز الذي حمله على استنطاق نصوصه وتوجيهها بالشكل الذي يلبي خلفيته الفكرية والنفسية، وما تنطوي عليه من افتراضات وإحالات.

واصطلاحاً هو إعجاب الشاعر بذاته أي بنفسه وصفاتها[2] وهذا ما كان يفعله البحتري في إنشاده لشعره.

1-الشاعر والاحساس بالذات

يتغنى الشاعر بنفسه مظهراً لشعره وبه يرتقي بذاته عن غيره، وهو المعروف بالزهو الفردي [الذاتي] منساقاً فيه البحتري وراء دوافع وبواعث خاصة، وقد ربط بعض الباحثين بين الشاعر وبين الزهو أو احساسه بذاته إحساساً عالياً، حتى كان اعتقاد العربي بأنَّ أمَّته خير أمَّة أُخْرِجَت للنَّاس عامَّةً، فكلُّ ماعداها أعاجم، وأنَّ قبيلته من بين القبائل أكرمها خاصَّةً، حتَّى

1. لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 363/14، مادة (زها).
2. الأدب الجاهلي، غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د/ت:171.

بلغ من العصبية أن صارت الأنساب علماً له في المقام الأوَّل بين العلوم، إضافة إلى اعتقاده بفضل اللغة العربية على سائر اللغات، وأنَّ أبناءها هم دون سواهم المطبوعون على الشعر حتى أدركنا سبب انتشار هذه الظاهرة عند كثير من شعراء العربية.

أمَّا عن موقف الأدباء والنقاد من زهو الشعراء بأشعارهم فقد رفضه بعضهم رفضاً مطلقاً، ومنهم بشار بن برد حين سُئِل: ((بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟ قال: لأني لم أقبل كل ما تورده علي قريحتي، ويناجيني به طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت عن متكلفها، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء ممَّا آتي به)) [1].

فبعد أن ذكر بعضاً من سمات التفوُّق في شعره – من وجهة نظره – أقسم على أنَّ الإعجاب بهذه السمات لم يملك قياده.

بينما قبل هذا بعض النقاد شرط أن يكون التعبير عن الزهو بالشعر شعراً كما يبدو في موقف ابن رشيق القيرواني من زهو أبي تمَّام بشعره شعراً، وزهو أبي العبَّاس الناشئ الأكبر بشعره نثراً، حيث يقول: ((ولا يجوز للشاعر كما يجوز لغيره أن يكون معجباً بنفسه، مثنياً على شعره، وإن كان جيداً في ذاته، حسناً عند سماعه، فكيف إن كان دون ما يظن؟ كقوم أفردوا لذلك أنفسهم، وأفنوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ [2] ، اللهم إلاَّ أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثني على نفسه، ويذكر فضل قصيدته؛ فقد جعلوه مجازاً مسامحاً فيه: كالذي يعرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم، على أنَّ أبا تمام يقول: من الكامل

وَيُسِيءُ بالإحْسَانِ ظَنّاً لاَ يَأتِيكَ وَهْوَ بِشِعْرِهِ مَفْتُونُ كَمَنْ

وإن كان أوصف النَّاس لقصيده، وأكثرهم ولوعاً بذلك، وهذا ما دام شعراً كان محمولاً على ما قدمناه، وإنَّما المكروه المعيب أن يكون ذلك منثوراً، أو تأليفاً مسطوراً: كالذي فعله الناشئ أبو العبَّاس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر؛ فشكرها، ونوَّه بها، ونبَّه عليها، وفضَّلها على أشعار الفحول: مثل جرير وغيره)) [3]. ويرى عبد الجبار المطلبي[1].

1. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة،1981 م:239/2.
2. سورة النجم، من الآية: 32.
3. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، مرجع سابق: 201/1.

أنَّ ما يزهى به الشاعر في شعره لو كتب نثراً لضحك الإنسان من سذاجة هذا الشاعر، وحبِّه لنفسه، وغروره مؤكِّداً على قبول هذا الزهو شعراً لا نثراً.

كما يبرِّر المظفَّر العلوي[2]، زهو الشاعر بشعره بإحساس العرب القدامى بصعوبة صناعة الشعر على مرتادها بما يبيح للشاعر الزهو بشعره، ولكن لماذا قبل النقاد الزهو بالشعر شعراً، وليس نثراً؟ لعلَّ السبب يكمن فيما يتضمنه الشعر من آليات مرتبطة بإمكانات الوزن والقافية، واحتوائه على الخيال والعاطفة الجيَّاشة، والتي تمثل سمات فارقة بين الشعر وبين النثر.

الدراسات السابقة

يمكن أن نجمل أهم الدراسات السابقة لهذه الظاهرة في الأعمال الآتية:

1-عبد الرحمن صدقي، جنون العظمة في المتنبي، مرض نفسي يقع في خمس صفحات، نُشِرَ في كتاب أبو الطيب المتنبي حياته وشعره لمجموعة من الباحثين، المكتبة الحديثة، بيروت، د . ت. ويتناول فيه صاحبه ظاهرة جنون العظمة عند أبي الطيب بالتحليل النفسي دون التعرُّض لرؤيته لشعره، ودون تناول القيم والمعايير النقدية التي افتخر بها.

2-طاهر الطناجي، جنون العظمة في المتنبي، فضيلة خلقية، مقال يقع في أربع صفحات، وقد نُشِرَ مع مقال عبد الرحمن صدقي في الكتاب السابق ذكره، يردُّ فيه صاحبه على عبد الرحمن صدقي، يغلب عليه طابع الخطابية التي تتنافى مع موضوعية الخطاب العلمي.

3-علي أدهم، أبو الطيب المتنبي بين الغرور والطموح والحزن، مقال نُشِرَ في مجلة الكاتب المصري لم يمس رؤية الشاعر لشعريته من وجهة نظر نقدية.

4-محمد عبد المطلب، مفهوم الشعر في القول الشعري، مقال نُشِرَ بمجلة فصول القاهرية، أرَّخ فيه صاحبه للظاهرة في الشعر العربي، ولكن ليس من منطلق الزهو، ودون تعرُّض للبحتري.

من هنا يتَّضح لنا أنَّ الظاهرة ما زالت في حاجة إلى دراسة تطمح إلى تناول ما لم تتناوله هذه الدراسات، حتى تكتمل الرؤية النقدية للظاهرة.

---

1. ينظر، الشعراء نقاداً، عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1986م: 11.

2. نضرة الأغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، تحقيق نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م: 273.

أهداف البحث: الزهو بالشعر سيرة ظاهرة (التأصيل التاريخي للظاهرة)

إنَّ ملازمة فخر الذات الشاعرة بالشعر موغل في القدم، ممَّا جعل ظاهرة الزهو بالشعر ضاربة بجذورها في أعماق التراث العربي، سواء أكان ذلك على مستوى الإبداع الشعري، أم على مستوى التناول الموضوعي للظاهرة.

حيث درس الخالديان أبو بكر (ت 380 هـــ) وأبو عثمان (ت 390 – 391 هـــ) ابني هاشم هذه الظاهرة في كتابهما الأشباه والنظائر من أشعار المتقدِّمين والجاهلية والمخضرمين، تحت عنوان: معنى وصف الشعراء لأشعارهم، ومثّلا له بأشعار للخنساء، ودعبل بن علي الخزاعي، والخريمي، ومروان بن أبي حفصة، وبشَّار بن برد، ومزرد بن ضرار، وكثيِّر عزَّة، ومحمد بن حازم، والبحتري[1].

أمَّا على مستوى الإبداع الشعري فقد افتخر امرؤ القيس بشعره كاشفاً عن معاناته الإبداعية في اختيار العناصر المكونة للبناء الكلي للقصيدة، وهو اختيار واعٍ بمفردات القصيدة بصفة عامة، ومفردات القافية بخاصة، فينظم من مرجانها ودرّها عقداً جميلاً، جاعلاً من نفسه صانعاً يحسن اختيار عناصر مصوغاته، حيث يقول: من المتقارب

أَنُودُ القَوَافِي عَنِّي ذِيَادَاً ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَرَادَا
فَلَمَّا كَـــثَرْنَ وَعَـــنِينَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ شَتَّى جِيَادَا
فَأَعْزَلَ مُرْجَـــانَهَا جَانِباً وآخِذَ مِنْ دُرِّهَا المُسْتَجَادَا[2]

وجدير بالذكر أنَّ مصطلح القافية كان يُطلق قديماً على الشعر أحياناً، وعلى القصيدة أحياناً أخرى، ولكنَّ امرأ القيس استخدمه هنا للدلالة على النهايات الموقعة للأبيات، كما يقول محمد عبد المطلب: ((ذلك أنَّ منطقة النهايات هي أخصب المناطق بالإيقاع، ومن ثم تبلغ المعاناة فيها ذروتها، لأنَّ الاختيار فيها يتسلَّط على أمرين: الأوَّل: توافق الدال مع السياق من حيث الدلالة، والآخر: توافق الدال صوتياً مع ما يسبقه ويلحق به من أبيات، والأمران معاً رهن بتوافق دال القافية مع ما يجاوره تركيبياً، وأي خلل في هذه الأمور يعوق انتاج الشعرية وينتقص الشاعرية))[3].

1. ينظر، الأشباه والنظائر، الخالديان، تحقيق، محمد يوسف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002م: 224/1 – 228.
2. ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004م: 91.
3. مفهوم الشعر في القول الشعري، محمد عبد المطلب، مجلة فصول، العدد 58، شتاء، 2002م: 30.

أمَّا جرير فقد اتخذ من كثرة شوارد أبياته، وسيرورتها، وتعلُّق الرواة بها مبرِّرات فنية للزهو بشعره، فكسا كل معنى من معانيه ألفاظاً لائقة به، حيث يقول [1]:من الطويل

وإنِّي لَقَوَّالٌ لِكــلِّ غَرِيبَةٍ ... وَرُودٍ إذا السَّارِي بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا
خَرُوجٌ بأفْوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّها ... شَبَا هُنْدُوانيٍّ إذَا هُزَّ صَمَّمَا

وإذا كان امرؤ القيس قد جعل من نفسه صانعاً، ومن قصائده مرجاناً ودُرّاً، فإنَّ إبراهيم بن هِرْمة قد ارتقى بشعره عن اطار الحرفة اليدوية، يقول محمد عبد المطلب: ((وإذا كان الخطاب الشعري قد آثر ربط الصياغة اللغوية بصياغة الذهب والفضة، فإنَّه قد ارتفع بهذا الإيثار من إطار المهارة اليدوية عند الصائغ إلى إطار المهارة اللسانية عند الشاعر، وقد عبَّر عن ذلك ابن هِرْمة في قوله [2]: من البسيط

إنِّي امرؤٌ لا أصوغ الحَلْيَ تَعْمَلُه ... كَفَّايَ لكن لِساني صائغُ الكَلِمِ

ذلك أنَّ المهارة إذا ظلَّت في إطار الحرفية لم تبلغ أفق الأدبية التي تستهدف الشعرية، ومن ثَمَّ كان من الضروري الارتفاع بالحرفية الخالصة إلى الإبداعية الجمالية)) [3].

أهمية البحث: دوافع الزهو بالشعر عند البحتري

كثيرة هي الدوافع التي برَّر بها النقاد إحساس الشاعر بشعره، وبذلك نستطيع أن نجمل دوافع الزهو بالشعر عند البحتري في دافع واحد هو: طلب العطاء، فالشاعر يرتقي بشعره حتى يبلغ عنان السماء؛ كي يجزل له الممدوح العطاء بما يكافئ هذا الشعر الذي زاحم الكواكب بمناكبه؛ وكي يجزل له المهجو العطاء اتقاء للسانه، حتى إن أكثر من تسعين بالمائة من المواضع التي زها فيها بشعره، أعقب هذا الزهو بطلب العطاء، جامعاً بين الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى. فإذا كانت مدحته عروساً بكراً قد زُفت إلى الممدوح، فلها عنده الصداق الجزيل، حيث يقول في مدح أبي جعفر الكاتب:

يا أَبَا جَعْفَرٍ وأَنْتَ كــريمٌ ... مـــــــاجدٌ ، سيِّدٌ ، أَغَرُّ ، نَبيلُ
قَدْ تَلَقَّيْتَ بالقَبُولِ مَدِيحِي ... وكَذَا يَفْعَلُ الرَّئيسُ الجَلِيل
هِيَ بِكْرٌ زُفَّتْ إِلَيْكَ عَرُوساً ... ولَهَا عِنْدَكَ الصَّدَاقُ الجَزِيلُ[4]

1. ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة: 980/2.
2. شعر إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد نفاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت: 211.
3. مفهوم الشعر في القول الشعري، محمد عبد المطلب، مرجع سابق: 35.
4. ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، د/ت، د/ط: 1881.

وشعره جزاء ما يأتيه به الرسول من الممدوح عاجلاً كان أم آجلاً كما ورد في مدحه لأبي مسلم الكجي وأسد بن جهور، حيث يقول:

وفي القَـــــوَافِي إِذَا سَوَّمْتَهَا بِدَعٌ ... يُثْقِلْنَ فِي الوَزْنِ أَوْ يَكْثُرْنَ فِي العَدَدِ
فِيهَا جَزَاءٌ لِمَـــــــا يَأْتِي الرَّسُولُ بِهِ ... مِنْ عَاجِلٍ سَلَسٍ أَوْ آجِـــــلٍ نَكِدِ[1]

بل إنَّه يصل في طلب العطاء أحياناً إلى حدِّ التهديد والوعيد إذ يخاطب أبا العبَّاس بين ثوابه قائلاً:

لا تَخَفْ عَيْلَتي، وتلكَ القَوَافي ... بَيْتُ مالٍ ما إنْ أَخَافَ ذَهَابَهْ
كَمْ عَزِيزٍ حَرَبْنَ مِنْ غَيرِ ذُلٍّ ... مـــالَهُ، أو نزَعنَ عَنهُ ثِيَابَهْ[2]

وممَّا يدعم هذا الطرح، ويؤكِّد على كون طلب العطاء، هو الدافع الأوَّل إن لم يكن الأوحد للزهو بالشعر عند البحتري:

أولاً : يتَّضح من ارتباط الزهو بالشعر عند البحتري بغرض المدح أكثر من ارتباطه ببقية الأغراض، ومعلوم ما بين غرض المدح والهجاء، وطلب العطاء، وما بين التكسُّب بالشعر من علاقة قوية، ووشائج متينة، فهي أغراض مبنية على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والملاينة أو الممازجة بينهما، كما في غرض العتاب.

ثانياً: ارتباط الزهو في الشعر بخاتمة القصيدة عند البحتري، وذلك لأنَّ خاتمة القصيدة أكثر بقاء في ذهن المتلقي من غيرها من أجزاء بنية القصيدة الأخرى، كما أنَّ خاتمة القصيدة تأتي قريبة من لحظة العطاء، ولا سيَّما إذا كانت تتضمَّن طلب هذا العطاء. وهذا ما يؤكده مصطفى الشكعة، في قوله: ((... على أنَّ هذه الظاهرة – ظاهرة إعجاب الشعراء بشعرهم – ليست وقفاً على المتنبي دون غيره من الشعراء، فقلَّما قرأنا شعراً في المديح لشاعر كبير إلاَّ وجدناه يضفي ألواناً من الثناء على شعره والافتخار بجودته، وإنَّ مدائح كل من أبي تمَّام والبحتري، وهما أستاذا الشعر مليئة بهذه الظاهرة إلى درجة تشبه الإسراف، بل هي الإسراف بعينه، وفي يقيننا أنَّ الشعراء الكبار كانوا يعمدون إلى هذا الطراز من نهج القصيد؛ لكي يرفعوا من قيمة شعرهم أمام الممدوحين، ومن ثم يتضاعف العطاء الذي يحصلون عليه، وتتكاثر الصلات التي إليها يسعون)) [3].

1. نفسه: 515
2. نفسه: 145.
3. أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م: 117، 118.

منهج البحث: اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي وكانت الدراسة من كتب النقد والأدب.

حدود البحث: الزهو في الشعر عند البحتري، دراسة نقدية.

هيكلية البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يقسَّم إلى أربعة مباحث ثم تقسيم المباحث إلى مطالب، حيث تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

المبحث الأول: القيم الفنية المزهو بها عند البحتري بين الشعرية والشاعرية [التقليد والتجديد].

مصطلح الشعرية من المصطلحات التي ذاع صيتها في الدرس النقدي الحديث، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدراسات اللسانية، أو علم اللغة والشعرية، ويؤكد هذا القول رومان ياكبسون واصفاً الشعرية بأنَّها ((الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموماً وفي الشعر على وجه الخصوص، ويسند النقاد إلى اللسانيات نوعاً من النزوع إلى تحديد القول الشعري بوصفه قولاً غير عادي، وبالفعل فإنَّ هنا موقفاً منحرفاً نادراً جدّاً على مدى آلاف السنين التي تطور خلالها علم اللغة))[1]. ويقترب ياكبسون من صفات الشعر حين يقول: ((إنَّ موضوع الشعرية هو قبل كُلِّ شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثراً فنياً؟))[2].

فالإجابة عن هذا السؤال هي صفات الشعر الجيد، سواء أكانت هذه الصفات ذات اتصال بعلم اللغة، أم لا؛ لأنَّ العديد من ملامح الشعرية لا ينتسب إلى علم اللغة فحسب، وإنَّما ينتسب إلى مجموع نظرية الدلائل أي إلى السيمولوجيا، أو السيموطيقا العامة.

ويقترب محمد عبد المطلب بالشعرية من مصطلح النظم عند عبد القاهر الجرجاني، آخذاً بتعريف تودروف الذي يرى أنَّ الشعرية مقاربة للأدب ((مجرَّدة وباطنية في وقت واحد، أو هي بمعنى آخر: عملية تحرك داخلي في الخطاب الأدبي، تتحسس خيوطه التي تذهب طولاً وعرضاً، فتكون شبكة كاملة من العلاقات ذات فعالية متميزة أسماها فاليري: الشعرية، حيث تكون اللغة فيها هي الوسيلة والغاية معاً))[3].

1. قضايا الشعرية، روما ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار التوبقال، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 1988م: 78.
2. المرجع السابق: 24.
3. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1995م: 89.

ويكاد مصطلح الشعرية يقترب من مفهوم الأدبية والانشائية في الفكر النقدي العربي، بل إنَّ محمد عبد المطلب يرى أنَّ هذين المصطلحين الأخيرين ((يحقِّقان قدراً من التوافق بين الرمز اللُّغوي ومدلوله الواقعي، غير أنَّ انتشار مصطلح الشعرية حديثاً جعله أقرب إلى اللساني في النطق، وإلى العقل في التفكير، مع ملاحظة جانب له أهميته، وهو انحراف المصطلح – الشعرية – عن مفهومه الشمولي إلى منطقة محدَّدة هي منطقة الشعر باعتبارها أكثر المناطق صلاحية لأداء مهمته، وأقربها إلى طبيعته، وكأنها بذلك قرَّبت المصطلح إلى أصله الاشتقاقي مرَّة أخرى))[1].

إنَّ اقتراب مفهوم الشعرية من النظم عند عبد القاهر الجرجاني، يجعلها تشمل قيماً ومعايير فنية، لا تختصُّ بالبنية اللغوية للنص فقط، ولكنَّها تتسع حتى تضم معايير كثيرة متصلة بالمعنى تتضح من قوله: ((فإن زعم أنَّه إنّما كره الوزن، لأنَّه سبب، لأن يتغنّى في الشعر ويتلهّى به، فإنّا إذا كنَّا لم ندعه إلى الشعر من أجل ذلك، وإنَّما دعوناه إلى اللّفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، والكلام البيّن، وإلى حسن التمثيل والاستعارة، وإلى التلويح والإشارة، وإلى صنعة تعمد إلى المعنى الخسيس فتشرّفه، وإلى الضّئيل فتفخّمه، وإلى النّازل فترفعه، وإلى الخامل فتنوّه به، وإلى العاطل فتحلّيه، وإلى المشكل فتجلّيه، فلا متعلّق له علينا بما ذكر، ولا ضرر علينا فيما أنكر، فليقل في الوزن ما شاء، وليضعه حيث أراد، فليس يعنينا أمره، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه)) [2].

وعلى الرغم من إشارة عبد القاهر إلى بعض الصفات المتعلقة بالمعاني، فحريٌّ بنا القول: إنَّ تعلُّق الشعرية بالمعاني يأتي من حيث كونها ناتجاً للإمكانات النحوية، لا من حيث كونها أغراضاً يدور في فلكها الشعراء.

إنَّ الفصل بين صفات الشعر، وصفات الشاعر، أمر فيه الكثير من التعسُّف، فكثير من صفات الشعر هي صفات للشاعر، والعكس أيضاً صحيح، فوصف المعنى الشعري بالابتكار، هو وصف للشاعر بالسبق، وهكذا ولكن هذا لا يغني عن تعريف الشاعرية بأنَّها قدرة الشاعر على خلق الشعرية في النص.

1. المرجع السابق: 90.

2. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، : 24.

وعلى الرغم من إيمان ابن رشيق القيرواني بأنَّه لا يمكن حصر صفات محددة للشعر الجيد، فإنَّنا سنحصر صفات الشعرية والشاعرية المزهوّ بها عند البحتري، مقسمين إياها إلى:

1-صفات اتفق البحتري مع السابقين عليه في التغنِّي بها.

2-صفات اتفق البحتري مع السابقين عليه في الزهو بها.

3- صفات اتفق البحتري دون السابقين عليه في الزهو بها.

4- صفات انفرد البحتري بالفخر بها.

صفات الشعرية والشاعرية المزهوّ بها عند البحتري

المبحث الأول: صفات اتفق البحتري مع السابقين عليه في التغني بها.

المطلب الأول: القصيدة الدرية:

استخدم البحتري هذه الصفة من صفات الشعرية للدلالة على جمال شعره، وهي من الصفات المتغيرة الدلالة، إذ استخدمها بعض الشعراء العرب لإعطاء دلالة عظمة القصيدة، وعلوِّ مكانتها، تشبيهاً لها بالكوكب الدري، إذ الدري عند العرب، العظيم المقدار، وهو الكوكب الثاقب المضيء[1]. ومنه قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [2].

فابن الرومي يفخر بشعره قائلاً:

هاكَـــــــهَا دُرِّيَةً منظُومةً شَاكَلَ الخَاتمُ منْها المُفْتَتَحْ[3]

يرى جاسر خليل أبو صفية أنَّ ابن الرومي في هذا البيت يشبه القصيدة بالكوكب الدري، معلقاً على هذا البيت بقوله: ((ودرية هذه القصيدة جاءت من إحكامها وخلوها من عيوب القافية والمفتتح، والمفتتح أول القصيدة، والخاتم آخرها)) [4]. ولكن ليس في سياق هذا البيت ما يدعم هذه الرؤية، إذ النظم يناسب الدر باعتباره جوهراً من الجواهر وليس الكوكب الدري.

---

1. لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (درر).279/4.
2. سورة النور، الآية: 25.
3. ديوان ابن الرومي، شرح، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م: 354/1.
4. ابن الرومي ناقدا، جاسر خليل أبو صفية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 185، 2002م: 61.

أمَّا توظيف كلمة الدر باعتبارها نوعاً من أنواع الجواهر، فقد ورد عند كثير من الشعراء العرب، فامرؤ القيس يصف شعره قائلاً: من المتقارب

فَأَعْـزَلَ مَرْجَـــــانَهَا جَانِباً وَآخذَ منْ دُرِّها المُسْتَجَادَا[1]

وذلك للدلالة على جماليات مفردات بناء قصيدته، دون أن يدرك جماليات السيمترية ومثالية التناسب التي أدركها أبو تمَّام حبيب بن أوس الطائي في وصف قصيدته، حيث يقول: من الكامل

كَالدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ أُلِّفَ نَظْمُهُ بالشَّذْرِ فِي عُنُقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ[2]

وقد ورد وصف القصيدة بالدرية في شعر البحتري مراعياً جماليات السيمترية ومثالية التناسب في مواضع كثيرة من شعره منها قوله: من الرجز

جَاءَتْ كَدُرٍّ فِي سُمَاطِ لُؤلُؤٍ فِي جِيدِ خَوْدٍ أَوْ كَعِقيانِ الذَّهَبْ[3]

المطلب الثاني: القصيدة البكر:

استخدم البحتري هذه السمة من سمات الشعرية كما استخدمها السابقون عليه للدلالة على أنَّ القصيدة جديدة، مبتدعة في معانيها، لم يمسسها شاعر من قبل، ولم يقلها أحد قبله، وهي مأخوذة من الدلالة اللُّغوية لكلمة بكر التي تعني: ((أوَّل الشيء، ومنه قالوا: نار بكر، لم تقتبس من نار، وحاجة بكر، طلبت حديثاً، والبكر الجارية لم تفتض)) [4]. ويقابل هذه الصفة القصائد العون، والعون جمع عوان، تطلق على البقرة وغيرها، وهي النصف في سنها التي نتجت بعد بطنها البكر[5]. وقد سبق ابن الرومي إلى استخدام هذه الصفة من صفات الشعرية حيث يقول: من الكامل

أَهْدَى إليكَ عَقِيلَةً مِنْ شِعْرِهِ بِكْـــــراً يَقِلُّ بمثلها إسمـــــاحُه[6]

ويتّضح التفرُّد الذي تتّسم به القصيدة في قوله: من الطويل

أَزُفُّ إليكَ البِكْرَ ما زُفَّ مِثْلُهَا فَيدْفَعُ مِنهَا فِي التَرَائِبِ والنَّحْرِ[7]

ويجمع بين الصفة ومقابلها في قوله: من الكامل

---

1. ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي: 91.
2. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي: 398.
3. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 156.
4. لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (بكر).76/4.
5. المصدر نفسه: مادة (عون). 298/13.
6. ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج: 333/1.
7. المرجع السابق: 12/2.

عَشِقَتْكَ أبكارُ القريضِ وعُونُه فَغَدَتْ إليكَ عَوَاصِياً منْ يَعْذُلِ

وقد وردت هذه الصفة في شعر البحتري في معرض مدحه لأبي جعفر الكاتب حيث يقول واصفاً قصيدته: من الخفيف

هِيَ بِكْرٌ زُفَّتْ إِلَيْكَ عَرُوساً وَلَهَا عِنْدَكَ الصَّدَاقُ الجَزِيلُ[1]

المطلب الثالث: سيرورة الشعر:

وهذه السيرورة كانت مزية مستحبة، وهي المجال الحيوي الذي يتقاتل عليه الشعراء قديما، وهي صفة أخرى من الصفات التي تغنَّى بها الشعراء كثيراً، وأدركها النقاد منذ أمد بعيد، حيث أفرد ابن رشيق القيرواني لها باباً في كتابه العمدة، فقد ((كان الأعشى أسْيَرَ الناس شعراً، وأعظمهم فيه حظاً، حتى كاد ينسى الناس أصحابه المذكورين معه، ومثله زهير، والنابغة، وامرؤ القيس، وكان جرير نابغة الشعر مظفراً، قال الأخطل للفرزدق، أنا والله أشعر من جرير، غير أنَّه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه، وقد قلت بيتاً لا أحسب أنَّ أحداً قال أهجى منه، وهو[2]: من البسيط

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمِّهمُ بُولي على النَّارِ

وقال هو: من الكامل

والتَّغْلبيّ إذا تَنَحْنَــحَ للقِرَى حَكَّ آسْتَه وتمثَّلَ الأمْثَالاَ

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته، قال الأصمعي: فحكما له بسيرورة الشعر)) [3].

إن ما ذكره بعض النقاد عن سيرورة شعر جرير كان واحداً من المعطيات الفنية التي زها بها كل من الفرزدق، وأبي تمام الذي استخدم مصطلح القصيدة الحذّاء للدلالة على سيرورة الشعر، حيث يقول:من الكامل

حَذَّاءَ تَملأ كُلَّ أذْنٍ حِكْمَةً وَبَلاَغَةً وَتُثِرُّ كُلّ وَرِيدِ[4]

وقد ذكر ابن منظور أنَّ ((القصيدة الحذّاء هي السائرة التي لا عيب فيها، ولا يتعلَّق بها شيء من القصائد لجودتها)) [1]. وقد زها البحتري بهذه القيمة الفنية كثيراً في شعره، مستخدماً مصطلح السيرورة، حيث يقول: من الوافر

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1881.
2. نقائض جرير والأخطل، أبو تمام، تحقيق، الأب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1922م: 135.
3. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 181/2.
4. ديوان أبي تمام، المجلد الأول بشرح الخطيب التبريزي: 397.

فكَيفَ بِسُيَّرٍ مُتَنَخَّـــتلاتٍ تَجُوبُ، من التنائف•، ما تجوبُ
يُنافِسُ سامِعٌ فيهَا أبَـــاهُ إذا جَعَـــلَتْ بـــسُؤدَدِهِ تُـــهيبُ
بَلَغْنَ الأرْضَ لمْ يَلغَبْنَ فيها وَبَعضُ الشّعرِ يُدرِكُهُ اللُّغوبُ[2]

فقصائده منقحة سائرة تجوب الصحارى والمدائن والقرى، بل تجوب الأرض على اطلاقها، وقد استخدم الشاعر هنا كلمة (ما) في قوله (ما تجوب) وهي نكرة، لكنَّها أبلغ من المعرفة، إذ عجزت اللغة عن الإحاطة بالمعاني فأفسحت المجال لطاقة جديدة من طاقات الابداع الفني، لكي تعمل وهي طاقة الخيال، مُحَقِّقَةً عَلاقةً إيجابيةً بين المبدع والمتلقي.

المطلب الرابع: الصدق:

شغلت قضية الصدق والكذب أذهان كثير من الشعراء والنقاد العرب القدامى والمحدثين، وكان مناط الاختلاف حول التزام الشاعر جانب الكذب، أو إمكانية وقوع الكذب في الشعر، حيث تناول معظم الشعراء العرب القدامى أحكاماً كثيرة تتصل بالصدق والكذب، فقد روى المرزباني في موشحه أنَّ نصيباً الشاعر قال: ((جميل أصدقنا شعراً، وكُثَيِّر أبكانا على الظعن، وابن أبي ربيعة أكذبنا وأنا أقول ما أعرف)) [3].

لعلَّ الشعراء والنقاد كانوا أكثر حرصاً على الصدق في المدح بخاصة، يبدو ذلك فيما أورده ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة ((وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عبَّاس أنَّه قال: قال لي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلاَّ بما فيه)) [4].

يدعم هذا موقف ابن الرومي من قضية الكذب في المديح، فقد كان يرى أنَّ الكذب في المديح شر العيوب، وهو ينزه نفسه عن الوقوع فيه، لذا فهو يرى أنَّ مدحه شخصاً آخر غير عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوقعه فيما نَزَّه نفسه عنه، حيث يقول: من الوافر

ولَكِني وَمَا بِي مَـــــدْحُ نَفْسِي أَرَى عَابَ التكذُّب شرَّ عَابِ
وإنْ جَاوَزتُ مَدْحَك لَمْ يَزَل بِي تكذُّبي المــدائحَ واجـــــتلابي

---

1. لسان العرب، ابن منظور، مادة (حدد).140/3.

• التنوفة: الأرض القفر والجميع التنائف، لسان العرب، ابن منظور، مادة (تنف).18/9.

2. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 259.

3. الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق، علي محمد البجاوي، نهضة مصر، د/ت، د/ط: 262.

4. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 98/1.

متى أَجدُ المدائح ليتَ شعري تُواتي في سواك بلا كِذابِ[1]

وقد وردت الأبيات التي تحدَّث فيها البحتري عن الصدق في معرض المدح، فالبحتري يمدح أبا العبَّاس بن بسطام مفتخراً بصدقه: من المنسرح

إنْ قَالَ، أوْ قُلتُ لم يُخَفْ كَذِبِي في حفظِّ أُكرُومَةٍ، ولاَ كَذِبُهْ
أوِ استَبَقْنَا المُجَازِيَاتِ، فَلَنْ يَذهَبَ شعرِي لَغواً ولا ذَهَبُهْ
يُتبِـــــعُ تأمـــيلَهُ الثـــرّاءَ، كَمَا أُتْبِعَ غُزْراً من ديمَةٍ عُشُبُهْ[2]

ويعبِّر البحتري عن موقفه من الصدق في المدح بصورة أكثر صراحة ووضوحاً في مدحه لمحمد بن بدر، حيث يقول: من البسيط

إنْ كان عِندَكَ خيْرُ القوْلِ صَادِقُهُ فَوَاجِبٌ أنّ شَرّ القَوْلِ كَـــاذِبُهُ
ومَا حَبَـــوْتُ أبَا العبّـــاسِ مَنْقَبَةً في المَدْحِ، حتى استحقّتْها مَناقِبُهُ
وَما تَبَرّعْـــــتُ بِالتقْرِيظِ مُبْتَدِئاً حتى اقتضتْني، فأحْقَتني موَاهِبُهُ[3]

المطلب الخامس: حسن البديهة:

وهي من معطيات الزهو عند البحتري، وهي من ((بدهه بالأمر: استقبله وفاجأه، وبادهني مبادهة أي باغتني مباغتة، والبديهة والبداهة أوَّل كل شيء وما يفجأ منه، وأوَّل جري الفرس)) [4].

والبديهة في الاصطلاح هي: ((أن يفكِّر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آلة، إلاَّ أنَّه غير بطيء و لا متراخ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً)) [5]. وقد امتدح الجاحظ العرب بأنَّهم أصحاب بديهة وارتجال في إطار دفاعه عن العرب في مواجهة الشعوبية، غير مفرِّق بين البديهة وبين الارتجال حيث يقول: ((وكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنَّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنَّما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو

1. ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج: 1/ 174.
2. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 281 .
3. نفسه: 228، 229.
4. لسان العرب، ابن منظور، مادة (بده).475/13.
5. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 192/1.

إلاَّ أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنثال الألفاظ انثيالاً)) [1].

وكذلك لم يفرِّق ابن أبي الإصبع المصري[2]. بين البديهة وبين الارتجال مقترباً في مفهومه من المفهوم الذي ذكره الجاحظ.

أمَّا ابن رشيق القيرواني فقد فرَّق بين البديهة وبين الارتجال، لكن تفريقه غير دقيق، إذ نَسَبَ إلى البديهة بعض التفكير فأحدث تداخلاً بينها وبين الروية ((البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا، أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وليست به؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأييد، والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقَّف فيه قائله)) [3]. وقد جاء زهو البحتري بحسن البديهة، أو الارتجال في قوله في وصف زجاج أهداه إليه أحمد بن الحسين بن صدقة: من الوافر

حَلَبْتُ لَهُ الثّنَاءَ، فجاءَ عَفْواً ... جَليَّ الرِّسْلِ، معْسولَ المِزَاجِ
قَوَافي كالسِّلامِ، تفوقُ حُسْناً ... نُجُومَ اللّيْلِ، توقِدُها الدّياجي[4]

المطلب السادس: خلود الشعر:

وهو ملمح من المعطيات الفنية التي تغنَّى بها الشعراء كثيراً، وذلك يبدو في زهو عمرو بن هند، والخنساء، وأبي نواس، وأبي تمّام، والسري الرفاء، وغيرهم من الشعراء كما ذكر في التأصيل التاريخي للظاهرة.

وقد أدرك العرب منذ القدم قيمة خلود الشعر، فقد روى ابن رشيق القيرواني قول ((عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة زهير حين سألها: ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك؟ قالت: أبلاها الدهر، قال: لكن ما كساه أبوك هرماً لم يبله الدهر، وقال عمر – رضي الله عنه – لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، قال: يا أمير المؤمنين إنَّا كنَّا نعطيه فنجزل، قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم)) [5].

---

1. البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1998م: 28/3.
2. ينظر، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الاصبع المصري، تحقيق، حفني شرف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1995م: 414.
3. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 189/1.
4. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 406.
5. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 81/1.

وقد تغنَّى البحتري بخلود الشعر في مواضع كثيرة من ديوانه، فالليالي تمر، والسنون تنقضي وتزول، وشعره باقي بقاء الدهر، حيث يقول في مدح أحمد بن محمد بن بسطام: من الطويل

إِلَيْكَ سَرَتْ غُرُّ القَـــوافِي كأَنَّها ... كَواكبُ لَيلٍ غَـــــابَ عَنْهَا أَفُولُهَا
بَدَائعُ تأْبَى أَنْ تُدِيـــنَ لِشَـــاعِرٍ ... سوَايَ إِذا ما رَامَ يَومـــاً يَقُولُـــهَا
تَزُولُ اللَّيالي والسِّنونَ، ولا يُرَى ... على العَهْدِ طُولَ الدَّهرِ شيءٌ يُزِيلُهَا
يُهَيِّجُ إِطْرابَ المُلوكِ اسْتِمَاعُها ... فَيُحْمَدُ راوِيها، ويُـــحْبَى قَئُولـــُها[1]

لكنَّه يمهد لارتباط الخلود بالأمور المعنوية الغيبية بارتباطه بأمور حسية، فشعره باقي بقاء النجوم الطوالع، يقول: من الطويل

تَنالُ مَنَالَ اللّيلِ في كُلّ وِجْهَةٍ ... وَتَبقَى كَمَا تَبقَى النّجُومُ الطّوَالِعُ[2]

المطلب السابع: نفي السرقة والانتحال:

قضية السرقات الأدبية من القضايا التي شغلت أذهان النقاد العرب القدامى كثيراً ، حتَّى إنَّهم ألفوا فيها كتباً مفردةً كثيرةً، مثل سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت، والإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي، والمنصف لابن وكيع التنيسي. كما تناولها الكثير من النقاد في مؤلفاتهم؛ ممَّا دفع ناقداً كالعقاد إلى القول: ((وما كان النقاد ليتطوروا في مثل هذا النقد لولا أنَّ التعسُّف في إطار السرقات كان في زمن من الأزمان – أو في زمن الجمع والتأليف – آيتهم على سعة الرواية والعلم بأقدار الشعراء)) [3].

وقد كثرت المصطلحات النقدية الدالة على السرقة في النقد العربي القديم كثرة مفرطة ذكرها ابن رشيق القيرواني[4]. قرابة الثلاثين مصطلحاً للتعبير عن أنواع السرقات الشعرية ووضع بينها فروقاً دقيقة جداً، بل إنَّ بعض هذه المصطلحات يتَّصل بالقصد آنية الأخذ، وبالسياق الاجتماعي مثل الفرق بين الإغارة والغصب والمرافدة، ومن أين لنا معرفة نية الأخذ أو السياق الاجتماعي مع تباعد الزمن؟!.

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1782.
2. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1306.
3. ابن الرومي، حياته من شعره، الأعمال الكاملة، العقاد، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1980م: المجلد الخامس عشر: 244.
4. ينظر، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 280/2، 294.

وكما كثرت المصطلحات كثرت الأعذار والأسباب التي كان يلتمسها النقاد للشعراء في السرقات؛ دفاعاً عنهم، وذوداً عن ابتكاريتهم، كما كانت السرقة سيفاً مسلَّطاً على رقاب الشعراء، إذا لم يرض عنهم النقاد. حتَّى تندَّر ابن رشيق بتسمية التنيسي كتابه (المنصف) قائلاً: إنَّه كتسمية العرب اللديغ سليماً.

وقد سبق الحديث عن هذه الظاهرة على المستوى النقدي وتناول الشعراء لها، إذا نفوا السرقة والانتحال عن أشعارهم، كما فعل طرفة ، وحسان بن ثابت، وأبو حية النميري، كما كانت السرقات موضوعاً للملاحاة بين شعراء النقائض كما هو الحال عند جرير والفرزدق على نحو ما ذكرنا عند الحديث عن التأصيل التاريخي في ظاهرة الزهو بالشعر، ونفي السرقة والانتحال من القيم التي تغنَّى بها البحتري في شعره، فالبحتري في مدحه للفتح بن خاقان ينفي سرقته لجماليات قصيدته، حيث يقول: من الرمل

قَصَائِدُ يَطرَبُ منْ تُهْدَى لَهُ وَلَذَّةُ النَّفْسِ مِنَ العَيشِ الطَّرب
لَمْ اسْتَعِرْ حِلْيَتِهَا يَومَاً، وَلاَ أَغرت حين قلتها على كتب[1]

بينما يهجو الخثعمي متهماً إياه بسرقة أشعاره، والدليل على ذلك هو تفاوت هذه الأشعار، حيث يقول: من الرجز

قَدْ أهدَفَ الغَثُّ العَمَى، لوْ لم يكنْ وَغْداً، وَلَيسَ الوَغدُ مِنْ أهْدافي
وَأَتَــى بأبْيــاتٍ لَــهُ مَسْرُوقَــــةٍ شَتّى النِّجَارِ، وَنِسْبَةٍ أقوَافِ[2]

كما فرَّق بين التقصير والانتحال والادعاء وهي مصطلحات تستخدم للدلالة على السرقة في قوله: من الوافر

وَقَدْ نافَستَني عُصْبَةٌ مِنْ مُقَصِّرٍ وَمُنْتَحِلٍ ما لم يَقُلْهُ وَمُدّعِ[3]

المبحث الثاني: صفات اتَّفق البحتري مع السابقين عليه في الزهو بها

المطلب الأول: إحكام الشعر:

مصطلح يقصد به الشعر المحكم، أو الأشعار محكمة النسج، وقد ذكر ابن طباطبا العلوي أنَّ الشعر المحكم هو الشعر الجيد المتقن، الأنيق الألفاظ، الحكيم المعاني، العجيب

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 155، 156.
2. نفسه: 1432.
3. نفسه: 1241.

التأليف، وإذا نقض وجعل نثراً لم تبطل جودة معناه، ولم يفقد جزالة ألفاظه، من ذلك قول زهير: من الطويل

سَئِمتُ تكـــــاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ثمانينَ حَوْلاً لَا أَبَا لكَ يَسأَمِ
رَأَيْتُ الْمَنايا خَبْطَ عشواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْه وَمن تُخْطِئ يُعَمَّرْ فيَهْرَمِ[1]

كما ذكر في موضع آخر ((أنَّ الأشعار المحكمة، هي الأشعار المتقنة المستوفاة المعاني، الحسنة الرصف، السلسة الألفاظ التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلُّف في معانيها، ولا عي لأصحابها فيها)) [2].

والصفات التي تشترط في الشعر كي يكون محكم النسج هي الصفات التي تصلح للحكم على الشعر بالجودة، أو بالرداءة بصفة عامة، وقد تحدَّث عن الشعر المحكم بعض الشعراء مثل عمرو بن هند، وأبي تمام، والسري الرفاء، ولم يخرجوا جميعاً عن تشبيه الشعر المحكم بالثوب الذي أحكم نسجه، وتقاربت المسافة بين لحمته وسداه كما مرَّ بنا في التأصيل التاريخي للظاهرة. وقد تناول البحتري صفة الشعرية وأفرط فيها، إذ تناولها في خمسة مواضع من ديوانه، شبَّه في أربع منها القصيدة المحكمة بالثوب المحكم النسج، أو الوشي المنمنم، أو الرداء المحبَّر، منها قوله: من الوافر

لقَدْ طَلَبَتْكَ من غُرّ المَرَاثي قَوَافٍ، مثْلُ أفْوَافِ البُرُودِ
فَلا تبْعُدْ، فما كان المُرَجّي نَوالَكَ، مِنْ نَوالِكَ، بالبَعِيدِ[3]

لكنَّه في موضع من هذه المواضع الأربع يضيف حكماً انطباعياً قالت به المدرسة الانطباعية في النقد الحديث، ومؤداه أنَّ القصيدة التي تحسّ في نفسك بعد سماعها رغبة في استعادتها، أو سماعها مرة أخرى قصيدة جيدة[4]. حيث يقول: من الطويل

تَطــوعُ القَوَافي فــيكُمُ فَكَـــأنّـــمَا يَسيلُ إليكُمْ مِنْ عُلُوٍّ قَصِيدُهَا
وكَمْ ليَ منْ مَحبوكةِ الوَشيِ فيكُمُ إذا أُنشدَتْ قامَ امرُؤٌ يَستَعيدُهَا[5]

أمَّا الموضع الخامس فقد شبَّه فيه القصائد المحكمة أو المحكمات ببناء مدينة إرم ذات العماد، وبصنعة الشعر عند النابغة وأبي دؤاد الأيادي، حيث يقول: من الخفيف

1. ينظر، عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م: 54.
2. المرجع السابق: 37.
3. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 520.
4. النقد والنقاد المعاصرون، محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت : 212 وما بعدها.
5. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 655.

لِي مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ يَومٍ عَنَاءٌ فُرْقَتِي مَعْشَرِي وَقِلَّةُ زَادِي
ما حديثي إلاَّ حَدِيثُ كُلَيبٍ وَبُجَيرٍ والحَارِثُ بن عُبَادِ
أو كَأَنِّي أحُوكُ حَوكَ زِيادٍ أَو كَأَنِّي أَبُو دُؤَادِ الإِيَادِي[1]

المطلب الثاني: تنقيح الشعر:

وقد أطلق النقاد العرب القدامى على هذه الظاهرة مصطلحات كثيرة متقاربة الدلالة، مثل: التثقيف، والتحكيك، والتهذيب، والتنقيح، والتنخيل، وأسموا هذه القصائد الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات، والمنخلات.

وهذا المعيار يُعَدُّ أحد مقوِّمات الزهو بالشعر عند كثير من شعراء العربية القدامى، الذي طالبوا الشعراء به، فهو صورة من صور الصنعة الفنية المحببة التي رغبوا فيها، وكانت ميدانا للنقاش بينهم، حيث افتخر عدي بن الرقاع بتثقيف شعره، في قوله: من الكامل

وقصـــيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها
نَظَرَ المثقِّف في كُعوب قَنَاته حتى يُقِيمَ ثِقافُهُ مُنْآدَها[2]

وقد ارتبط تنقيح الشعر – عند بعض النقاد – بالتكسُّب به، يقول الجاحظ: ((ومن تكسَّب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السماطين، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل، لم يجد بُدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما، فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود)) [3]. ونظراً لارتباط الشعر عند البحتري بالتكسُّب والمديح كما ذكرنا في دوافع الزهو بشعره أو الفخر به، فقد ذكر أنَّ قصائده منقَّحات متنخّلات ، حيث يقول: من الوافر

أيَغضَبُ إنْ يُعَاتَبْ بالقَوَافي وَفيها المَجدُ، وَالحسب الحَسيبُ
وكَمْ مِنْ آمِلٍ هَجْوِي ليَحظى بذِكْرٍ منهُ يَصْعَدُ، أوْ يَصُوبُ
فكَيفَ بِسُيَّرٍ مُتَنَخَّلاتٍ تَجُوبُ، من التنائف، ما تجوبُ[4]

ومصطلح المتنخِّلات، أو تنخُّل الشعر، سبق إليه أبو حاتم السجستاني فيما رواه المرزباني وهو قوله[5]: من الكامل

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 621.
2. ديوان عدي بن الرقاع العاملي، برواية ثعلب، تحقيق، نوري القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1979م: 90.
3. البيان والتبيين للجاحظ: 13/2، 14.
4. ديوان البحتري،: 259.
5. ينظر، الموشح، للمرزباني، مرجع سابق: 3.

نظم ابن آداب تنخّل شعره لم يمح رونق شعره إكفاؤه

المبحث الثالث: صفات اتفق البحتري دون السابقين عليه في الزهو بها

المطلب الأول: حسن الرونق:

يُعَدُّ واحداً من صفات الشعرية التي تغنَّى بها البحتري، والرونق هو: ماء السيف وصفاؤه وحسنه، ورونق الشباب: أوله وماؤه، وكذلك رونق الضحى[1]. وقد ذكر ابن سلاَّم الجمحي هذا المصطلح دون تحديد مفهومه، وذلك في معرض حديثه عن شعر النابغة الذبياني، إذ يقول: ((وقَالَ من احْتجَّ للنابغة كَانَ أحْسنهم ديباجة شعر وَأَكْثَرهم رونق كَلَام)) [2]. وقد ربط أبو هلال العسكري الرونق بالطلاوة التي يضفيها الشاعر على شعره، وقد وصف القدماء الشعر الجيد بالرونق والطلاوة [3]. كما أدرك حازم القرطاجني خفاء السبب في الحكم على الشعر بالرونق والطلاوة، فقال عن الطلاوة: ((تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التأليف ربَّما خفي سببه وقصرت العبارة عنه)) [4].

ولحسن التأليف وهو حسن صياغة الكلام علاقات وثيقة، ووشائج متينة بحسن رونق الشعر، تبدو في وصف الآمدى شعر البحتري بحسن التأليف حيث يقول : وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ، ورداءة اللفظ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق، ويفسده، ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل، وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره وحسن التأليف وبراءة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسناً ورونقاً حتى كأنَّه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد، وذلك مذهب البحتري، ولهذا قالوا: ((لشعره ديباجة، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمَّام)) [5]. لقد زها البحتري في أبياته في مدح الفتح بن خاقان بأنَّها أبيات غر، متَّسمة بحسن الرونق، فيقول: من الطويل

إلَيكَ القَوافي نازِعَاتٌ، قَوَاصِداً يُسَيَّرُ ضَاحي وَشْيهَا، وَيُنَمْنَمُ

1. لسان العرب، ابن منظور، مادة (رنق).126/10.
2. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه، محمد شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة: 56/1.
3. ينظر، كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، تحقيق، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت: 57.
4. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م: 225.
5. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، مرجع سابق: 56/1.

وَمُشرِقَةٍ في النّظمِ غرّا، يَزِيدُها بَهَاءً وَحُسناً، إنّها لَكَ تُنظَمُ[1]

ومنه أيضاً زهوه بصفاء شعره حيث يقول: من الطويل

لكَ الشّكْرُ منّي وَالثّناءُ مُخَلَّداً وَشِعرٌ كمَوْجِ البحرِ يَصْفو وَلا يُصْفي[2]

المطلب الثاني: التفرُّد:

يعني به الابتداع، وهو((أن يبتدع الشاعر معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع فيه))[3]. ويرى ابن رشيق أنَّ الابتداع أساس الشعر ((فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى، ولا اختراعه، او استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص ممَّا أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلاَّ فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير))[4]. فالبحتري يرى أنَّ شعره في مدح أحمد بن محمد بن بسطام غرٌّ القوافي، وأنَّه البدائع التي تعجز بدائه الآخرين عن الإتيان بمثلها حيث يقول: من الطويل

إلَيْكَ سَرَتْ غُرُّ القَوافِي كأَنَّها كَواكِبُ لَيْلٍ غَابَ عَنْهَا أَفُولُهَا

بَدَائعُ تأْبَى أَنْ تُدِينَ لِشَـــاعِرٍ سِـــوَايَ إِذا مـــا رَامَ يَومـــاً يَقُولُهَا[5]

ووصف الأبيات هنا بالغُرِّ تختلف عن دلالة مصطلح الأبيات الغرُّ عند ثعلب في كتابه قواعد الشعر[6]، إذ دلالة الكلمة هنا التفرُّد.

3-تنوع الشعر:

وتكمن قيمة هذا المعيار أو هذه الصفة من صفات الشعرية في تحقيق العلاقة الايجابية بين المبدع والمتلقي عن طريق كسر حالة الملل التي قد يصاب بها المتلقي من رتابة التفكير، وهو ما يقترب من مفهوم المفارقة الشعرية في النقد التحليلي، يؤكد ذلك مفهوم وشي الألوان،

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1931.
2. نفسه: 1402.
3. معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب:1/ 65.
4. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 116/1.
5. ديوان البحتري: 1782.
6. قواعد الشعر، أبو العباس ثعلب، حققه وقدم له وعلق عليه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995م: 72.

والعلاقة بين الأنجاد والأغوار، وعلاقة ذلك بالاطراد، والانارة لمستوضحه وهي من وظائف المقابلة والتضاد.

وقد افتخر البحتري بتنوُّع شعره مشبهاً إياه بالروض في معرض مدحه الخضر بن أحمد حيث يقول: من الكامل

خُـــذهَا إليكَ وسِيلَةً مِنْ رَاغِبٍ ... مُتَقَـــــرِّبٍ، مُتَوَصّـــــــلٍ، مُتَسَبِبِ
جَاءَتْكَ في طِيبِ التَّحيةِ تُجْتَنَى ... مِنْ مَنْبِتٍ أُنُقٍ وَرَوضٍ مُعْشِبِ[1]

كما يشبِّه تنوُّع الشعر بتنوُّع وشي الثياب وتداخل ألوانه وتناسقها حين يقول: من البسيط

يَعْرَى من المالِ إفْضَالاً، وَنُلبِسُهُ ... وَشْياً منَ المدْحِ لم تُخلِقْ مَباذلُهُ[2]

ثم يجمع الكثير من مظاهر التنوُّع في الكون ملبساً شعره إياها كتنوع النجوم وأضوائها، والروض وأزهاره، والأثواب وألوانها، والسماط وجواهره، حيث يقول في مدح علي بن مر: من البسيط

أحسِنْ أبا حَسَنٍ بالشّعرِ، إذْ جُعلتْ ... عَلَيــكَ أنْجُمُهُ، بالمَدْحِ، تَنتثرُ
فَـــقَدْ أتَتْكَ القَــوافِي غَبَّ فائدةٍ ... كمـــا تَفَتَّـــحَ غِبَّ الوابلِ الزَّهَرُ
فيها العَقائِقُ والعِقيانُ، إنْ لُبستْ ... يوْمَ التّباهي، وفيها الوَشيُ وَالحِبَرُ
وَمَنْ يكُنْ فاخراً بالشّعرِ يُمدَحُ في ... أضْعافِهِ، فَبِكَ الأشعارُ تُفْتَخَرُ[3]

المطلب الرابع: قدرة الشعر على التأثير:

تناول البحتري قدرة الشعر على التأثير في النفوس، وهو تناول واعٍ في وظيفة الشعر، ينظر إلى الطرف الثالث من أطراف العملية الإبداعية وهو المتلقي، فالبحتري يدرك أنَّ من وظائف الشعر الإطراب، أو المتعة الفنية، كما يبدو من قوله في مدح الفتح بن خاقان: من الرمل

إذْ كَسَانِي الفتحُ أثوابَ الغِنى ... فَكِسْوتِي إيَّاهُ مـــــدْحٌ مُنْـــــتَخَبْ
قَصَائِدٌ يَطْرَبُ مَنْ تُهْدَى لَهُ ... ولَذَّةُ النَّفْسِ مِنَ العَيشِ الطَرَبْ[4]

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 342.
2. نفسه: 1829.
3. نفسه: 958.
4. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 155، 156.

والطرب هزَّة تعتري الانسان من شدة الفرح أو من شدة الحزن، أي أنَّ هذا الشعر قادر على تحريك المشاعر الإنسانية وتأجيج كوامنها. فإذا كانت قصائده تكسو ممدوحه ثوب المجد والفخار، فإنَّها أيضاً قادرة على أن تلبس مهجوّه ثوب الخزي والعار، يقول. من الخفيف

لا تَخَفْ عَيْلَتي، وتلكَ القَوَافي بَيْتُ مَالٍ إنْ أخَافَ ذَهَابَهْ
كَمْ عَزِيزٍ حَرَبنَ منْ غيرِ ذُلٍّ مالَهُ، أو نَزَعنَ عَنهُ ثيَابَهْ[1]

فشعره قادر على أن يرفع قوماً، ويضع آخرين، منهم هؤلاء الذين يتجاهلون مقدار سطوته، حيث يقول: من الوافر

تَجَاهَلَ مَعْشَرٌ مِقـــدَارَ سَطْوي وَقَـدْ لاَحتْ لأعْيُنهم سِمـــَاتِي
وأبْقَتْ حَادِثـــَاتُ الـدَّهْرِ مِنِّي وإنْ خَفَضَتْ يَدي وَحَنَتْ قَنَاتِي
سَوَائِرُ مِنْ سِهَامِ الشِّعْرِ تُصْمِي إذَا جَعَـلَتْ تُشِيدُ بِـهَـا رُوَاتِي[2]

أمَّا عن الوظيفة النفعية، فالشعر كما يقول الناشئ الأكبر ((ذريعة المتوسِّل ووسيلة المتوصِّل))[3]. وكذا يرى البحتري حيث يقول:

رَجَوْتُ أَبَـــا عَبْدِ الإلهِ لِحَـــاجَتِي خَلاَئِقَكَ الغُـرَّ الغَـــــريبَ شُكُولُهَا
وأرْسَلْتُ أفْوَافَ القـــــوَافي شَوَافِعاً إلَيكَ، وقَد يُجـدي لَدَيكَ رَسُولُـــها
بوَادٍ بإحْسانٍ عَلـــــيْكَ، وَخَلْفَهَا عَوَائِدُ لـمْ تُطْلَـقْ إلَيْكَ كُبُـــولُها
زَوَاهِـــرُ نـــــوْرٍ ما يَجِفُّ جَنِيُّها وأنْجُـــمُ لَيْلٍ ما يُخَافُ أُفُولُـــــهَا
وَمَا بصَـــوَابٍ أنْ يُؤخَّرَ حَظُّـــهَا وَقَد سَبَقَتْ أوْضَـــاحُها وَحُجُولُـــها
إذا ما البُزَاةُ البِيضُ لمْ تُسْقَ رَيَّها على ساعةِ الإحسانِ، خيفَ نُكُولُهَا[4]

وهذه الوظيفة تقترب من الوظائف التعبيرية عند الرومانسيين، فعبد الرحمن شكري يرى أنَّ الشاعر الحقيقي هو الذي يملأ قلوب الناس بالرغائب الجديدة، والذي يقوي عواطفهم؛ لأنَّ العواطف هي القوى المحركة في الحياة[5].

1. نفسه: 145.
2. نفسه: 378.
3. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، قدَّم له وشرحه، صلاح الدين الهوَّاري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م: 62/3.
4. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1777، 1778.
5. ينظر، الاعترافات، عبد الرحمن شكري، مطبعة جرجي غزوزي، الاسكندرية: 31.

المطلب الخامس: جودة اللفظ وعدم اللحن:

انطلاقاً من الثنائية النقدية – ثنائية اللفظ والمعنى – زها البحتري بجودة الألفاظ وفصاحتها، وبعدها عن اللحن أو الخطأ اللغوي. فالبحتري يفخر بجودة ألفاظه وخضوعها للانتقاء والاختيار حين يقول:

إذا نَحنُ كافأناكُمُ عَنْ صَنيعَةٍ ... إنفنا، فلا التّقصِيرُ منّا، وَلا الكُفْرُ
بمَنْقُوشَةٍ نَقْشَ الدّنانيرِ، يُنْتَقَى ... لَهَا اللّفْظُ مُختاراً، كمَا يُنتَقَى التّبْرُ[1]

لقد جعل البحتري من نفسه صائغاً، ومن قصيدته حلياً، مدركاً احتواء اللفظ للمعنى، فإذا كانت معانيه ذهباً فإنَّ ألفاظه هي سبك هذا الذهب وتجميله، حيث يقول في مدح إسماعيل بن بلبل:

لأشكُرَنّكَ، إنّ الشّكْرَ نَائلُهُ ... أبقَى على حَالَةٍ مِنْ نَائلِ النَّشَبِ
بكُلّ شـــــاهِدَةٍ للقَوْمِ غَائبَةٍ ... عَنهُمْ جَميعاً، ولَمْ تَشهَدْ ولَمْ تَغِبِ
مَرْصُوفَةٍ باللآلي مِنْ نَوَادِرِهَا ... مَسبُوكَةِ اللّفظِ وَالمَعنَى من الذّهبِ[2]

حيث أدرك جدلية العلاقة بين اللفظ والمعنى في إطار الشاعرية البعيدة عن اللحن والانحراف اللغوي.

المطلب السادس: تفوق الشاعرية:

لقد افتخر البحتري بتفوُّق شاعريته على شاعرية الآخرين، وهذه واحدة من معطيات الزهو تجمع كثيراً من معطيات الشاعرية والشعرية، فالبحتري يرى في نفسه ربّ القصائد والقوافي، حين يمدح يوسف بن محمد قائلاً: من الكامل

ورأيتني، فرأيتَ أعجبَ منظرٍ ... رَبُّ القصائدِ في القنا المتقصِّدِ[3]

بل إنَّه يرى أنَّ ما يقدِّمه لممدوحه من خلاصة فكره يفوق ما يقدِّمه الآخرون بأبدانهم، حيث يقول: من الوافر

لَئِنْ حَشَدَ الرِّجَالُ عَليكَ دُونِي ... لَما حَشَدوا عَليكَ بِمثلِ شِعْرِي
وَإنْ خَدَمُوكَ بَالأَبْدَانِ إنِّي ... لأبْلَـــــغُ خِدْمَةً مِنْهُمْ بِفِكْرِي[4]

1. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 875.
2. نفسه: 121.
3. نفسه: 549.
4. ديوان البحتري: 863.

كما أنَّه قادر على إفحام الآخرين من الشعراء، والإفحام هو أن يصيب العي الشاعر فلا يستطيع أن يقول، أو هو عجز الشاعر حينما يجابه بالقول، قال ابن رشيق: ((يقال: أفحم الشاعر على أفعل، قالوا: وهو من فحم الصبي إذا انقطع صوته من شدة البكاء)) [1]. فكأنَّ الشاعر احتبس وعجز عن القول، وذلك حيث يقول: من الطويل

أبَا جَعفَرٍ هَذِي مَســـــــــاعيك غَضّةً ... وَهَذا لِسَاني قَاطِعُ الحَدّ، مُطلَقُ
نَطَقْتُ، فأفحَمتُ الأعادي، ولَم يكن ... ليُفحِمَني جُمهُورُهمْ، حينَ يَنْطِقُ
بِكُــلّ مُعَــلاّةِ القَـــوَافي كَأنـــّهَا ... إذا أُنْشِدَتْ في فَيْلَقِ القَوْمِ، فَيلَقُ[2]

وهو السابق في الابداع والآخرون يأتون في إثره، حيث يقول: من الطويل

وَقَدْ نافَستَني عُصْبَةٌ مِنْ مُقَصِّرٍ ... وَمُنْتَحِلٍ مـــــا لم يَقُلْهُ وَمـــــدّعِ
إذا ما ابتَدَرْنا غايَةً جِئْتَ سَابِقاً ... وَجاءوا على آثار حَسرَى وَظُلَّعِ
فَلا تُلْحِقَنْ بي مَعشَراً لم يُؤمّلُوا ... لَحَاقي، ولم يَجرُوا إلى أمَدٍ مَعِي[3]

المبحث الرابع: صفة انفرد البحتري بالفخر بها:

المطلب الأول: صفة المؤاخاة:

وهذا المصطلح يقصد به التناسب، فقد ذكر النويري في نهاية الأرب أنَّ التناسب هو: ((ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر)) [4].

كما يرادف مصطلح المؤاخاة أيضاً مصطلحات الائتلاف، والتلفيق، ومراعاة النظير الذي عرَّفه ابن حجة الحموي بقوله: ((أن يجمع الناظم أو الناثر أمرًا وما يناسبه، مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظًا لمعنى، أو لفظًا للفظ، أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوع أو ما يلائمه من أحد الوجوه)) [5].

وقد ورد الحديث عن تآخي الشعر عند البحتري في معرض مدحه لمحمد بن العباس الكلابي، حيث يقول مفتخراً بشعره: من الوافر

وألْفَيتُ القَوَافِيَ كَالأوَاخِي ... ضمْنَ غوَابِرِ الشَّرَفِ التَلِيدِ[6]

1. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 205/1.
2. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1498.
3. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 1241.
4. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 107/7.
5. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق، عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، 293/1.
6. ديوان البحتري، المجلد الرابع: 683.

الخاتمة

يعد الزهو بالشعر أو الفخر به من الفنون الشعرية التي تغنى بها الشعراء في العصر العباسي، ومنهم البحتري محل البحث والدراسة، فكان وسيلة بها يفتخر الشاعر ويزهو به لرسم صورة ممايزة عن غيره. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث كالتالي:

1-يعد الزهو والفخر من السمات المميزة للشاعر من خلال قصائده وإحساسه بذاته.

2-ظاهرة الزهو بالشعر كانت متأصلة تاريخياً ومعروفة عند الشعراء قديماً.

3-الخطاب الأدبي عند البحتري كان مشتركاً بين الشعرية والشاعرية.

4-إمكانية الشاعر وقدرته الشعرية أكدت مظاهر الزهو عنده.

5-قراءة البحتري الواعية لمجمل الخطاب الشعري في عصره وما قبله.

6-النص الشعري عند البحتري جعله وفق قالب يشير إلى شاعريته وزهوه بتلك الشاعرية.

7-دراسة مظاهر الزهو عند البحتري وأهم نقاط التمايز عنده.

8-بيان أن الزهو والفخر من أساسيات نبوغ الشاعر وتفرده.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1.الأدب الجاهلي، غازي طليمات، وعرفان الأشقر، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د/ت

2. الأشباه والنظائر، الخالديان، تحقيق، محمد يوسف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002م.

3. الاعترافات، عبد الرحمن شكري، مطبعة جرجي غزوزي، الاسكندرية.

4. البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1998م.

5. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الاصبع المصري، تحقيق، حفني شرف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1995م.

6. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق، عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت.

7. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.

8. ديوان ابن الرومي، شرح، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م.
9. ديوان أبي تمام، تحقيق، محمد عبده عزام، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف، د/ت.
10. ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، د/ت، د/ط.
11. ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004م.
12. ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة..
13. ديوان عدي بن الرقاع العاملي، برواية ثعلب، تحقيق، نوري القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1979م.
14. ابن الرومي ناقدا، جاسر خليل أبو صفية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 185، 2002م.
15. ابن الرومي، حياته من شعره، الأعمال الكاملة، العقاد، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1980م.
16. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، قدَّم له وشرحه، صلاح الدين الهوَّاري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
17. شعر إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد نفاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت.
18. الشعراء نقاداً، عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1986م.
19. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه، محمد شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
20. أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين، مصطفى الشكعة.
21. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة،1981 م.
22. عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

23. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1995م.
24. قضايا الشعرية، روما ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار التوبقال، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 1988م.
25. قواعد الشعر، أبو العباس ثعلب، حققه وقدم له وعلق عليه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995م.
26. كتاب الحيوان للجاحظ، ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت.
27. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، تحقيق، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
28. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د/ت.
29. معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، بغداد، 1989م.
30. مفهوم الشعر في القول الشعري، محمد عبد المطلب، مجلة فصول، العدد 58، شتاء، 2002م.
31. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
32. الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق، علي محمد البجاوي، نهضة مصر، د/ت، د/ط.
33. نضرة الأغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، تحقيق نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.
34. نقائض جرير والأخطل، أبو تمام، تحقيق، الأب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1922م.
35. النقد والنقاد المعاصرون، محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
36. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة.

مجـــلة الـــتربـــوي
JOURNAL OF EDUCATIONAL
ISSN: 2011- 421X
Arcif Q3
معامل التأثير العربي 1.5
العدد 18

الفهـــــــــــرس

ر.ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	بعضُ آراءِ أبي الحَسَنِ الأخفَشِ فِي كِتَابِ التَّنبِيه لابنِ جنِّي	د. علي محمَّد ناجي	20-3
2	إضـــافـــة الشـــيء إلى صـــفتـــه	علي عبد الرحمن أبو منيار الطاهر عمران جبريل	30-21
3	الإعراب في العربية	أ.جمال محمد دية	45-31
4	البيع بالتقسيط وأحكامه العملية المعاصرة	سليمان امحمد بن عمر إبراهيم محمد أبوحرارة	71-46
5	جماليات المعمار السردي للقصة القرآنية دراسة فنية تأصيلية	د.فوزي أبوبكر العيان	97-72
6	تعدّد الوجوه الصَّرفيَّة بين قراءات القرَّاء الثلاث المكمِّلين للعشر في (الأسماء) بسورة الأنعام	د.علي مصباح زلطوم د.فاطمة عبد القادر مخلوف	130-98
7	الإتباع الحركي الرجعي في القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري	نورية صالح على افريج	150-131
8	النقد التطبيقي قراءة في كتاب الموازنة لأبي الحسن الآمدي ت 370 هـــــــــــــ	د. إبراهيم فرج الزائدي	181-151
9	مظاهر الزهو بالشعر عند البحتري	د. مصطفى بشير محمد رمضان	208-182
10	من شطـــحات ابن مضاء القرطبي "إنكاره للضمير المستتر في المشتقات العاملة"	د. عبدالله محمد الجعكي	218-209
11	العطف على التوهم وآراء العلماء فيه	أ. حواء بشير بالنور أ. زينب امحمد أبوراس	229-219
12	الفاعلية الذاتية وعلاقتها بدافع الإنجاز	د. ربيعة عثمان عبد الجليل د. فرج مفتاح العجيل د. حواء بشير أبوسطاش	256-230
13	دور المشـــرف التربـــوي فـــي العمليّة التّعليمية	أ. هنيّة عبد السلام البالوص	285-257
14	واقـــع النظام التربـــوي في ليبيا (دراسة سيسيو تاريخية لواقـــع منظومة التربيـــة في المجتمـــع الليبـــي)	د. الباشير عمران خليفة المريمي	304-286
15	اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (Post-Traumatic Stress Disorder) (تعريفه – أعراضه – مدى انتشاره)	أ.محمد عطية إسماعيل أ.ميلاد محمد الحضيري	322-305
16	إدمان الانترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب	د. احمد على الهادي الحويج	344-323

17	أساليب تطوير الذات والثقة بالنفس في مرحلة المراهقة	أ. سعاد مفتاح مرجان أ. أسماء حامد اعليجة	374-345
18	دور الأسرة في تكوين الاتجاهات النفسية للطفل	أ. أمنة العربي سالم خليفة	407-375
19	الضغوط المهنية وآثرها على الصحة النفسية للمرأة العاملة	د. هاجر علي محمد الصقر أ .إبراهيم خليفة المركز	422-308
20	الذكاء الوجداني كمنبئ للقيادة الناجحة	أ. محي الدين على المبروك	448-423
21	وليام دلتاي و سارتر وإشكالية فهم التاريخ في الفكر الوجودي	د. نورالدين سالم قريبع	465-449
22	تأثير الانترنت المظلم على نمو وتطور التجارة الالكترونية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في علوم الحاسب الآلي وتقنية المعلومات بجامعة بني وليد	د.ميلاد سالم المختار مغراف	482-466
23	التشكيل الاجتماعي للجسد الأنثوي والإجحاف الاجتماعي دراسة أنثروسوسيولوجية لبعض المأثورات والممارسات السلوكية الشعبية للمجتمع الليبي	أ. سعاد علي الرفاعي	505-483
24	دوافع هجرة سكان منطقة تاورغاء الى مدينة طرابلس "مخيم الفلاح نموذجاً"	أ. هناء عمر محمد كازوز	522-506
25	بناء نظام معلوماتي سياحي لإقليم فزان بليبيا باستخدام نظم المعلومات الجغرافية	د. امباركة صالح محمد ناجم د. عبدالسلام عبدالرحمن عكاشة	535-523
26	تحليل إتجاهات النمو العمراني لمدينة زليتن بإستخدام التقنيات الجغرافية الحديثة والأساليب الإحصائية	د. فرج مصطفى الهدار	549-536
27	دراسة تصنيفية للفصيلة المركبة ASTERACEAE في مدينة الخمس– ليبيا	نجاة بلعيد محمد الشف	562-550
28	فاعلية النانو تكنولوجي على مناهج العلوم بالتعليم العام	أ. هدى على أحمد التقبى أ. ليلى منصور عطية الغويج	575-563
29	دراسة تأثيرالري بمستويات مختلفة من مياه البحر و شدة الاضاءة على بعض مظاهر نمو وانتاجية نبات القمح Triticum aestivum	د. سعاد محمد السريتي	595-576
30	دراسة لبعض الخصائص الكيميائية والكشف عن التنوع الفطري للتربة في مدينة مسلاتة	مبروكة حامد سالم منصور ابتسام الرفاعي سالمة الامين محمد انديشة	609-596

626–610	أ.علي فرج ابوسليانة أ.اسماء علي ابوشويكة د.ميلود الصيد الشافعي أ.محمد عاشورسويلم	عرض لأهم الأمراض البكتيرية المشتركة التي تنتقل من الأسماك للإنسان	31
633–627	Dr. Younis Muftah Al-zaedi Fathi Salem Hadoud	HYPOGLYCEMIC PROPERTY OF GARLIC AND THE PROTECTIVE EFFECTS ON TYPE-2 DIABETES MELLITUS: A REVIEW	32
638–634	Tyeeb Farag Hessian, Jamela Saad Mohamed Muheddin Rteba	EFFECT OF VARIOUS INTEGRATED WEED MANAGEMENTS ON WEED DENSITIES AT ELWASEETA RAINFED CONDITIONS	33
649–639	نعيمة محمد الشريف	تنقية البروتينات المفرزة Esx H و Esx G لبكتيريا السل Mycobacterium tuberculosis	34
658–650	Osama Milad Mahdi Elgutt Ali Salem Faraj Edalim	EVALUATION THE CAUSES OF THE DIABETES MILLETS AMONG PATIENTS IN THE AL KHUMS DIABETES CENTER	35
665–659	Amal Abdulsalam Shamila Fatma Mustafa Omiman Soad Muftah Abdurahman	A RESULT ON A COMMON FIXED POINT THEOREM FOR SEMI-COMPATIBLE AND RECIPROCAL CONTINUOUS MAPS IN FUZZY METRIC SPACE	36
670–666	Ebtisam Ali Eljamal	CERTAIN CLASS OF GENERALIZED CLOSE TO CONVEX FUNCTIONS PRESERVING INTEGRAL OPERATOR	37
676–671	N.S.Abdanabi Amal El-Aloul Ashraf Alhanafi	COMPACTNESS MODULO IN FIBREWISE IDEAL TOPOLOGICAL SPACE	38
685–677	Mohammed Ebraheem Attaweel Abdulah Matug Lahwal	ON SOLVING NONLINEAR VOLTERRA INTEGRAL EQUATIONS OF THE FIRST KIND USING MAHGOUB TRANSFORM	39
693–686	A. H. EL-Rifae Z. A. Abusutash	CHAOTIC BIFURCATIONS OF DISCRETE DYNAMIC SYSTEMS WITH A COMPLEX VARIABLE	40
704–694	Aisha Ajwely Khaled	ON THE FEKETE-SZEGö THEOREM FOR THE GENERLIZED OWA-SRIVASTAVA OPERATOR	41
715–705	K. A. E. Alurrfi Mohamed O. M. Elmrid Ali B. Almalul Suad H. O. Aljahawi Salem M. A. Zyaina	EXACT TRAVELING WAVE SOLUTIONS FOR TWO HIGHER ORDER NONLINEAR PDES IN MATHEMATICAL PHYSICS USING THE GENERALIZED RICCATI EQUATION MAPPING METHOD	42
724–716	Hana wanis Elfallah	EVALUATION OF PROBIOTIC BACTERIA ISOLATED FROM PHARMACEUTICAL SACHET AGAINST URINE SAMPLE BACTERIA	43

738–725	Dr.Mohamed K. Zambri Dr.Ali R. Elkais Eng. Ibrahim R. Musbah	DETERMINATION OF THE ACTUAL BURNING EFFICIENCY OF CYCLONES IN CEMENT INDUSTRY LEBDA CEMENT PLANT AS CASE STUDY	44
750–739	Dr. Dawi Muftah Ageel	DETERMINE THE RELATIONSHIP BETWEEN NDVI AND NDWI INDICATES USING SENTINEL-2A TECHNIQUES IN KHUOMS CITY, LIBYA	45
769–751	أ. ابراهيم عثمان الصابري	ILLEGAL IMMIGRATION TO EU FROM AFRICA USING LIBYA AS TRANSIT COUNTRY	46
783–770	Dr. Ragb O. M. Saleh	A REVIEW AND CRITIQUE: WELL-KNOWN REACTIVE ROUTING PROTOCOLS IN MANET	47
788–784	Salem Mustafa aldeep Aimen Abdalsalam Kleeb Saad Mohamed Lafi	THE ROLE THAT INFORMATION TECHNOLOGY PLAYS IN THE DEVELOPMENT OF SOCIETY (Analytical study inside Faculty of Education)	48
796–789	أ. سميرة مفتاح احميد	AN ANALYSIS OF THE COMMON ERRORS AND ERRORS' TYPES IN THE WRITING OF LIBYAN UNIVERSITY STUDENTS	49
806–797	Najat Mohammed Jaber Aisha Mohammed Ageal	THE PROBLEMS OF SPELLING ERRORS AMONG FRESHMEN IN THE FACULTY OF EDUCATION AT ELMERGIB UNIVERSITY	50
813–807	Hisham mohammed Alshareef Aisha mohammed Elfagaeh Milad Ali Abdoalsmee	STUDENTS' ATTITUDES AND BEHAVIOURS TOWARDS USING PLEASURE READING IN ESL SETTINGS	51
814	**الفهرس**		52